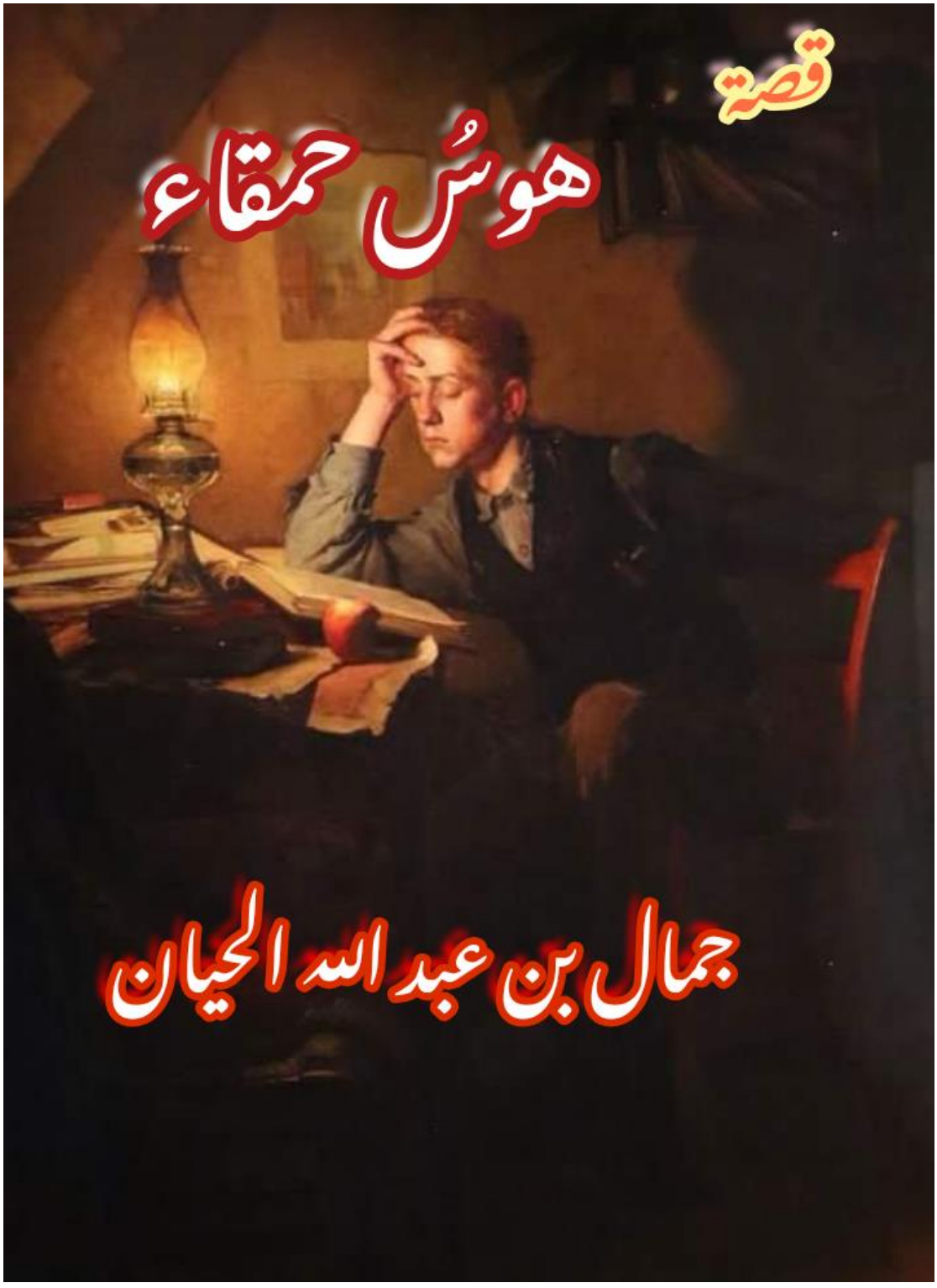
قصة
هوسُ حمقاء
جمال بن عبد الله الحيان

رقم الإيداع الدولي :

ISBN : 890-7780-65-88543

تحقيق ومراجعة :

الشرطي الخلّ والصديق

تقديم :

الخيانة هي هروب من مفردات اللغة ، فجرّب صديقا قبل أن تثق به ، وليكن فأسك مستعدا دائما ، فليذق تلك الميتة الحقيرة ، أشنقه قبل أن يشنقك ، واجعل الجميع يكرهه ، وستعيش عزيزا في آخر المطاف.

جمال بن عبد الله الحيان .

إهداء :

إلى أعضاء مجموعة *إصدارات الكاتب والروائي والقاص جمال بن عبد الحيان * الفايسبوكية ...

شكرا على تفاعلكم المشرق والجميل ...

شكرا على تشجيعكم المتواصل ...

معا كي تكبر العائلة ...

أألطم الخدود ... !!!

أأصرخ وأولول ... !!!

وقد أضحيتُ في غنى عنها ، حبّ ظننت ألاّ شيء سيقطعه سوى ريب المنون ، صرت مشتت الفكر ، مثقلا بالأحزان ، شارد الذهن ، فتلك الغضاضة التي كانت لا تزال تعاود نفسي ، تلك الخائنة الهاربة الباكية التي جفت منها المآقي ، لا تستحق عطفا ولا حنانا ،وقد حطمت فؤادي .

لا اعتذار ولا استجداء للرحمة ، أصبحت فقيرا معدما ، متلبد المشاعر ، وقد أتت أمرا إدّا وفعلا نكرا .

كنت أمامها كالراهب المتبتل لصورة العذراء ، وقد فرّت مني فرار السليم من الأجرب ، وتركتني بائسا فقيرا ، لقد عقد الود بين قلبي وقلبها ، وأنا أصر على أن أقول ذلك في كل المجامع ، راحة المعترف وهدوء التائب المقرّ .

لقد تكسرت منّي النّصال على النّصال ، وتلك الغريقة لاهتة الأنفاس ، المحطمة المهدمة ، مكروبة الصدر ، الحبيبة الهاربة ، التي أمسكت بهذا الخيط الواهي ، عفنت حياتنا للتو،

وهي تواجه حبيبها الحالم ، وحلمها الواهم ، وأنا أواجه فجرا جديدا ، أستمد من نوره الدفء والحنان .

فقط يكفيني ذلك الود والإخاء ، لقد كنت أراها كزهرة كللها الندى ، فحبها هيج مشاعري، وجعل الظفر بها مسرح آمالي وأحلامي ، وأنا أعترف الآن ، اعتراف محتضر.

كم أسكرني حديثها ، وأجلاني عن الحقيقة عشقها وهيامها ، أتروى الحديث وأنهل من معين عينيها ، أسبح في خيال الصبابة طامعا في سعادة أبدية ، وحلم أكثر بكثير من المستحيل .

لقد أضنى حبها فؤادي ، وأنا الآن في الظلمة الحالكة من الهموم ، حرّقت قلبي ، وأثارت فيّ كامن شجني ، صرت أرى الزهور بلا ألوان ، وجلا خائفا ، وقد فقدت الثقة والحياة .

طويت كتابي وفارقت مجلسي ، وأويت إلى فراشي منصرفا إلى مخدعي ، تناولت قلما ، وقد رجع إليّ شأني الذي أرهقني وأرداني ، فقلت للقلم :

ـــ ألن تكون لي عونا هذه المرة ...!!

أجاب :

ـــ أنا لا أحفل بشيء من أمرك .

وقد مضى الليل إلا أقله ، فجئته متأففا متذمرا أشكو ، فنظر إليّ نظرة دامعة وبدأ يكتب، ولم يبق من سواد الليل سوى بقايا أسطر يوشك الصباح أن يجهز عليها ، وبدأ يكتب باكيا، وأنا أتبعه مطيعا خاضعا :

** حينَ انبثق نور الفجر في تلك الليلة الليلاء ذاهلة النجم ، يئن أنين الوالهة الثكلى ، وأنا أجس نبض ما يقع ، أزعجني مسمعها وخُيّل إلي ، كان جوّ البيت ثقيلا برائحة الدخان ، فبعد هدأة من الليل ، سمعت بعض الخربشات والأصوات المنبعثة من الغرفة ، ودقات ساعة الحائط تقطع فواصل الصمت تلك ، كان أمرا غريبا ، ولا زلت متعبا من السفر .

كنت مندهشا غارقا في تفاصيل كثيرة ، وسوف أطبقها بدقة ، ساد صمت طويل لم أعد أسمع فيه أي شيء سوى صوت الأنين ...

فإذا خيال سار لا يكاد يتبينه رائيه ، نظرت من شق الباب متلصصا ، فإذا بي أرى رجلا يصطبغ أنفه بلون أحمر قان ، تتقدمه كرشه الكبيرة ، وأنا أحس بنفسي تتقطع عارية من كل شيء ، يجلس بطريقة مضحكة ويردد كلاما غير مفهوم ، ثم يبرز وجهه مقطبا عابسا وقد مطّ شفتيه وهو يلتفت إلى الجهة الأخرى ، ابتلعت ريقي بصعوبة ، قلت بصوت أبح مخنوق وقد استجمعت قوايَ :

ـــ هل من الممكن أن أعرف ماذا تفعلان أيها الحقيران ...!!

انتصبا مثل المسامير ، فإذا بي أرى رجلا مكرمشا بوجه شائك ، وبدأت كلمات التوسل تتراشق كأنها المطر ، وأنا أنظر إليهما نظرة طويلة عميقة ، نظرة تأنّ ، وصوتي أصبح مهددا مخيفا ، فبدت معالم الخوف والانتقام تغزو المكان ، يخفيان رأسيهما مثل أرنبين مذعورين ، وأنا لا زلت لم أتمم حفلة الشتم .

لقد أُهنتُ بالقول والفعل ، وقد وقفت مهددا بالتقوى تارة ، وبالمسكنة مخاطبا الضمير تارة أخرى ، وبالتهديد معلنا عن الانتقام مرة أخيرة ، انفرجت شفتا السمين عن أسنان صفراء وهو يرتعش كالمحموم ، سيطر عليها الخوف ، بل وتجمدا رعبا ، لقد تحول كل شيء فيّ إلى قلب يخفق، وقد استبد بي الغضب ، سقطت على الكرسي منتحبا من هول الخيانة ، وأنا أطفئ السجارة في راحة يدي .

اقتربت من كوثر ، قبلتها على خديها ورأسها ، ولم يعرف بعد اسم هذا التصرف ، دمعة انزلقت دون أن أستطيع إخفاءها ، كانت دمعة حارة حزينة ، والدموع تتساقط من عيون كوثر بغزارة ، وعلى ذلك فقد خانتني .

غمزت الآخر بعيني وأنا أبتسم ، وهو يعاني في كل نظرة مني إليه آلاما نفسية وإرهاقا بدنيا ، فلقد كان عائما بجد ، نظرت إليه مجددا بابتسامة تطوى في رأسي ولا تظهر على شفتيّ ، ورياح قوية بدأت بالهبوب ، هبّة تلو الهبّة ، تعصف بأشجار الزيتون المحيطة بالبيت ، وعيونهما تتابعان حركاتي، وكوثر تلحّ إلحاحا عجيبا على أنّي لم أفهم الأمر و ستشرح لي ، قلت :

ــ كفى ، يكفي ما رأيته لحد الساعة ... لديّ ما يكفي للاستنتاج أنك لست إلا خسيسة خائنة .

لكنها لم تكتف بذلك ، وهي تنظر إليّ متوسلة راجية عفوا مستحيلا ، ويا لغبائها ، فلا أرى من توسلها ذلك سوى مزحة ماجن و هوس حمقاء ، ولكني سأحتفل بهذا كله ، سأحتفل معلنا النهاية .

ابتعدت عنها ، وكوثر تلتحف بثوبها الكحلي ، تغطي ذلك القوام الفارع ، وأنا أتذكر تلك الابتسامة الساحرة ، وعلاقتنا الجميلة كولهان وولهى ، تلك السعادة ، ذلك الإخلاص .

كان في صوتي رنة ألم وأنا أقول :

ـــ وداعا ...

أغلقت الغرفة عليها بإحكام ، اتجهت نحو غرفة المعيشة ، أخذت برميل غاز كنت قد اشتريته لتعبئة قناديل الغرف ، وقفت متأملا ، مترددا ، وقد تحرر ذهني ، وأنا أردد على مسمع من الجميع :

ـــ أنت ملكي وحدي يا كوثر ... أنت ملكي وحدي ...

رجعت للغرفة بعد دقائق معدودة ، استطاعا فيها أن يلبسا ثيابهما التحتية ، وأنا أسكب عليها الغاز بقوة ، وبيدي سيجارة أشعلتها مباشرة ، مبتعدا قليلا ، رميتها محلّقة في الأعالي، فبلا تفكير ولا أمل ، ولا انتظار رجاء ، أغلقت الغرفة بإحكام ، ونوبات الصراخ من الداخل تناديني بكل حنوّ أن أفتح الباب .

وها أنا الآن أكتب لكم من الغرفة الأخرى المقابلة لها ، لم أعد أسمع الصياح ولا طرقات النجدة والاستغاثة ...

أنا الآن أعترف بجرمي وجرمها ، وقد كتبت للتو رسالة انتحار .**

انتهى بفضل الله وكرمه في 26 محرم 1442 هـ /الموافق

ل 14 شتنبر 2020 م .